صلاح السيد عبد الحى

مسرحية الفرس وفن الشعر الأرسطى

يحدد أرسطو فى كتابه فن الشعر مفهوم التراجيدية بقوله: "التراجيديا ـ إذن . هى محاكاة لفعل جاد تام فى ذاته؛ له طول معين، فى لغة ممتعة لأنها مشفوعة بكل نوع من أنواع التزين الفنى؛ كل نوع منها ممكن أن يرد على انفراد فى أجزاء المسرحية؛ وتتم هذه المحاكاة في شكل درامى، لا فى شكل سردى وبأحداث تثير الشفقة والخوف، وبذلك يحدث التطهير من مثل هذين الانفعالين".(١)

ويُعَد أيسخيلوس "*Aeschylus*" (٥٢٥ـ٤٥٦ ق.م.) المؤسس الحقيقى للتراجيديا، وقد كتب سبعين مسرحية تراجيدية، لم يصل إلينا منها سوى سبع مسرحيات فقط.(٢) وسوف نتناول فى هذه الدراسة مسرحية الفرس "Persae"، والتى تم عرضها عام ٤٧٢ ق.م.، والتى ينظر إليها البعض على أنها أنشودة نصر درامية رائعة لما أحرزه اليونانيون من انتصار على جيوش الفرس المهاجمة لبلادهم.(٣)

ويرجع سبب اختيار هذه المسرحية دون غيرها من مسرحيات أيسخيلوس إلى أنها مسرحية تاريخية؛ تصور حدث تاريخي وقع بالفعل. أى بعيدة كل البعد عن دائرة المسرحيات التى كانت

---

(١) أرسطو: كتاب فن الشعر؛ ترجمة وتقديم وتعليق: إبراهيم حماده، مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة (١٩٨٣)، ص ٩٥.

> . . . . . ἔστιν οὖν τραγῳδία μίμησις πράξεως σπουδαίας καὶ τελείας μέγεθος ἐχούσης, ἡδυσμένῳ λόγῳ χωρὶς ἑκάστῳ τῶν εἰδῶν ἐν τοῖς μορίοις, δρώντων καὶ οὐ δι᾽ ἀπαγγελίας, δι᾽ ἐλέου καὶ φόβου περαίνουσα τὴν τῶν τοιούτων παθημάτων κάθαρσιν. [Aris., Poe., CD, TLG; Bekker page 1449b, 24-28].

(2) R. C. Jebb, Greek Literature, Digitized for Microsoft Corporation, by the Internet Archive in 2007. From University of Toronto, p. 73, 80.

(٣) لم تكن مسرحية الفرس بالمسرحية التسجيلية لحدث تاريخى بالفعل، بقدر أنها كانت مسرحية عن الخطأ وما يتبعه من عقاب من لدن الآلهة. ولهذا لم يكن الوصف الدرامى للحرب واقعياً.

Cf., H. D. F. Kitto, The Greeks, Penguin Books Press; Great Britain, 1st. ed., (1951), The last ed. (1962), p. 183.

تتمحور حول الإله ديونوسوس "*Dionysus*" أو الآلهة الأولمبية الأخرى أو حتى الأبطال اليونانيين.(١) وثانى أسباب اختيار تلك المسرحية دون غيرها؛ هو أنها مسرحية تحدثت عن الهزيمة العسكرية فى قالب وصورة جديدة تماماً، أظهر بها أيسخيلوس مدى قدرته الشاعرية التصويرية؛ حيث تصويره للهزيمة على لسان المهزومين، فجعل منهم الرواة والشهود لهزيمتهم، وناء بنفسه وبأى شخصية يونانية عن رواية المبتهج بتحقيق النصر وهزيمة العدو. ولذلك فلم يأتى بشخصية يونانية واحدة داخل المسرحية.(٢)

ملئ أيسخيلوس تلك المسرحية بالكثير من مشاهد الترقب والبكاء والنحيب والخوف على مصير جيش الفرس والملك الفارسى إكسيركسيس "*Xerxes*" قائد الجيش الفارسى، والذى توجه نحو بلاد اليونان لدحرها وهزيمتها.

وأخذ أيسخيلوس فى تصوير عظمة وقوة الجيش الفارسى وكثرة عدته وتنوع أسلحته ومهارة قواده وبسالة جنوده. وهكذا وللوهلة الأولى يمكن القول بأن أيسخيلوس بذلك التصوير قد أوجد شيئ من الخوف والشفقة على بلاد اليونان وجيشها الذى سوف يدحره هذا الجيش الفارسى الجرار لا محالة، مستبعداً تماماً من مخيلة القارئ والمشاهد أية خوف أو شفقة على هذا الجيش العرم من أن يتم هزيمته.

إن عرض المسرحية على هذا النحو قد يرجع إلى إفادته من تجربة سابقه الشاعر فرونيخوس "*Phrynichus*" (٥١٢-٤٧٦ ق.م.)، والذى عرض مسرحية سقوط ميليتوس " Capture *of* *Miletus*" مصوراً فيها هزيمة الأثينيين أمام الفرس وعدم قدرتهم على حماية والدفاع عن ميليتوس؛ أهم المعاقل اليونانية فى أيونيا "*Ionia*"، فقام بتجسيد وتمثيل حدثاً كانوا هم يرغبون نسيانه، إلا أنه

---

(١) أحمد عتمان: الشعر الإغريقى تراثاً إنسانياً وعالمياً، سلسلة عالم المعرفة؛ عدد ٧٧، الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، مايو ١٩٨٤. ص ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) كان هوميروس وثيكوديديس وأيسخيلوس ممن اهتموا بتصوير وتمجيد انتصارات الشعب اليونانى دون غيرهم من الأدباء والشعراء اليونانيين.

Cf., H. D. F. Kitto, op. cit., p. 138 .

ذكّرهم به، فلقي الهزيمة والرفض من الجمهور، وتم تغريمه بغرامة مالية كبيرة علي فعلته تلك،[١] إلا أنه بعد ذلك وعى الدرس جيداً وقام بكتابة وعرض مسرحية الفينيقيات "*Phoenissae*"، والتى تغنى فيها بانتصار اليونانيين على الفرس في موقعة سلاميس "*Salamis*"،[٢] فجاء أيسخيلوس من بعده وكتب مسرحيته الفرس على نفس نهج فكرة مسرحية فرونيخوس. وقام بتصوير هزيمة الفرس على أيدي اليونانيين، ومزيداً من البراعة فى الكتابة المسرحية جعل أحداث مسرحيته تدور على أرض أعداء بلاده، الفرس أنفسهم،[٣] وهذا هو ما جعلها مسرحية تراجيدية، كما يرى بعض الباحثون؛ بأنه لو كان قد أتي بالأحداث داخل بلاد اليونان وبشخصيات يونانية لكانت نشيد تغنى وتمجيد بنصر بلاده وليس مسرحية تراجيدية.[٤]

يفتتح أيسخيلوس المسرحية بالجوقة، وهم يمثلون مستشارى الملك الفارسى إكسيركسيس، وهم يصفون مدى قوة جيشهم "*στρατιᾶς πολλῆς*" الذى يقوده الملك الشاب إكسيركسيس:

πᾶσα γὰρ ἰσχὺς Ασιατογενὴς
οἴχωκε, νέον δ' ἄνδρα βαῦζει, [Aesch. Per., 12-14]
"ذهبت كل قوة ابن آسيا

---

(١) ولقد سجل أبو التاريخ هيرودوتوس هذه الواقعة في تاريخه، وذكر أن الحكومة الأثينية قد فرضت على فرونيخوس غرامة مالية كبيرة. Cf., Hdt. His., VI, 21.

(2) R. C. Jebb, op. cit., p. 72.

(3) H. D. F. Kitto, op. cit., p. 183.

لم تكن مسرحية أيسخيلوس هى المسرحية التراجيدية الوحيدة التى حملت اسم الفرس، ولكن سبقتها مسرحية فرونيخوس والتي كان يطلق عليها إما الفرس أو الفينيقيات، وكانت هناك أيضاً مسرحية كوميدية للشاعر الكوميدى فيراكراتيس "*Pherakratis*" المعاصر للشاعر الكوميدى الشهير أريستوفانيس بنفس الاسم.

انظر: عصام الدين أبو العلا، نظرية أرسطوطاليس فى الكوميديا، مكتبة مدبولي. القاهرة (١٩٩٣)؛ ص ٧٣.

(4) Edith Hall, "The Sociology of Athenian Tragedy", The Cambridge Companion to Greek Tragedy, edited by, P. E. Easterling, Cambridge University Press, UK., (1997), p. 100.

انظر: عبد الرحمن بدوى، ترجيديات أسخولوس ٢؛ ترجمها عن اليونانية وقدم لها وعلق عليها، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (١٩٩٦)، ص ١٢٨؛ وانظر: أحمد عتمان: المرجع السابق، ص ص ٢٢٦.٢٢٧ .

وهى تزمجر مع رجلها الشاب".

ويصر المستشارون على وصف مدى تنوع الجيش الفارسى من مشاة وفرسان وبحارة،

..... τοὶ μὲν ἐφ᾽ ἵππων,
τοὶ δ᾽ ἐπὶ ναῶν, πεζοί τε βάδην
πολέμου στῖφος παρέχοντες· [Aesch. Pers. 18-20]

"..... البعض منهم على الخيول
وآخرون على ظهر السفن، بينما المشاة كانوا
يكونون صفاً متلاصقاً يسير على مهل للحرب".

جميعهم مغاوير وشجعان وقادرون على تحقيق النصر للفرس لا محالة، أتى بهم إكسيركسيس من شتى بقاع الأرض، وكل قائد من قواد جيشه ذو مهارة خاصة في نوع من أنواع القتال. ويحاول المستشارون فى كل فقرة التأكيد علي إثارة هذا الجيش للرعب فى نفوس الناظرين "*φοβεροὶ μὲν ἰδεῖν*".(١)

واستمراراً فى تصوير مدى قوة الجيش الفارسى، يأتى أيسخيلوس، وعلي لسان مجلس مستشارى الملك الفارسى، بأن جيشهم قد خرج للحرب لإذلال اليونانيين واستعبادهم "*ζυγὸν ἀμφιβαλεῖν δούλιον Ἑλλάδι*". ولهذا فأن هذا الجيش سوف يحرز النصر والتفوق على الأعداء اليونانيين:

πεπέρακεν μὲν ὁ περσέπτολις ἤδη
βασίλειος στρατὸς. [Aesch. Per., 65-66]

" إن جيش مليكنا لمحطم المدن
وأنه على أداء ذلك لقادر بالفعل".

(١) جاءت فى بيت ٢٧ ، ثم وردت بنفس المعنى فى بيت ٤٨ "φορεβὰν ὄψιν προσιδέσθαι".

ومزيداً من الثقة فى الجيش وعداده، فأنه هو الجيش الذى لا يمكن هزيمته من أحد. بل لم يولد بعد من يجرؤ على الوقوف أمام هذا الجيش الفارسى:(١)

δόκιμος δ᾽ οὔτις ὑποστὰς
μεγάλῳ εὐματι φωτῶν
ἐχυροῖς ἔρκεσιν εἴργειν
ἄμαχον κῦμα θαλάσσας·
ἀπρόσοιστος γὰρ ὁ Περσῶν
στρατὸς ἀλκίφρων τε λαός.
[Aesch. Per., 87-92]

"لا أحد كريم المحتد من الرجال
يمكنه أن يبارينا في العظمة،
أن يصد أسوار قوية
أو أمواجاً من البحر جارفة.
فجيشنا لا يمكن مقاومته
وشعب الفرس شجعان".

ويستمر كورس . مستشاري الملك . المسرحية على هذه النغمة من الشعور بالمجد والعظمة على مدى ستة أسطر تالية، ويذكر أن جيش الفرس قد قَدّرتْ له الآلهة النصر وهزيمة جميع أعدائه والقضاء على جميع المدن والبلاد.(٢)

وعندما تظهر الملكة أتوسا "*Atossa*" أم الملك إكسيركسيس على المسرح وتتحاور مع مستشارين ابنها، فأنها تحدثهم عن حلم تراه فى منامها باستمرار، وذلك منذ أن أعدَّ ابنها الجيش وذهب لهزيمة جيش اليونانيين، فأنها تتحدث وكأن هزيمة اليونانيين أمر من المسلمات:

....., ἀφ᾽ οὗπερ παῖς ἐμὸς στείλας στρατὸν

(١) وهذا هو نفس المعنى الذى أورده هيرودوتوس علي لسان أحد القواد الفرس وهو يتحدث إلى إكسيركسيس عن مدى عدم قدرة أحد على مواجهة الجيش الفارسى.

Cf., Hdt. Hestoriae, VII, 9.

(2) Aesch. Per., 94-99.

ἰαόνων γῆν οἴχεται πέρσαι θέλων· [Aesch. Per., 177-178]

"..... منذ أن أعد ابنى جيشه

وتوجه نحو أرض الأيونيين راغباً تدميرها".

وعلى مدى خمسة عشر بيتاً وبداية من البيت ٢٣١، يأخذ أيسخيلوس فى التمهيد للهزيمة التى حلت بذلك الجيش العرم الذى لم يولد بعد من يستطيع هزيمته "*ἀπρὸσοιστος στρατὸς*". ومن هنا يمكن القول بأن أيسخيلوس كان يقصد بذكره لقوة وعظمة الجيش الفارسى السخرية منه، ومزيداً من السخرية والشعور بمرارة الهزيمة، ومزيداً من التشفى يأتى أيسخيلوس بكل ذلك على لسان الفرس أنفسهم المُعجبين المغرورين بقوة جيشهم وكثرة عدده وعداده، وفى نفس الوقت يجعلهم يتحدثون عن موقع بلاد اليونان وعظمة وقوة جيشها وثرواتها ونظام الحكم فيها، وذلك حتى البيت ٢٤٥.

وتتبدد صورة الجيش الفارسي القوي الذي لا يمكن هزيمته عندما يدخل الرسول الفارسي، فتتجلي حقيقة المعركة بوضوح، خاصة وأن هذا الرسول كان شاهد عيان على ما جرى "*μὴν παρών γε κοὐ λόγους ἄλλων κλύων*". فهو شاهد على ما لحق بالجيش الفارسى من هزيمة نكراء. وهذه هي قمة المأساة التي أرادها أيسخيلوس بتصويره للهزيمة التى لحقت بالجيش الفارسى، فراوى النكسة ليس فارسياً فقط ولكنه شاهد عليها.

وتتجلى الهزيمة حقيقة فى نداء الرسول على المدن الفارسية بأنهم قد هُزِموا من اليونانيين:

ΑΓΓΕΛΟΣ
ὦ γῆς ἁπάσης Ασιάδος πολίσματα,
ὦ Περσὶς αἶα καὶ πολὺς πλούτου λιμήν,
ὡς ἐν μιᾷ πληγῇ κατέφθαρται πολὺς
ὄλβος, τὸ Περσῶν δ' ἄνθος οἴχεται πεσόν.
ὤμοι, κακὸν μὲν πρῶτον ἀγγέλλειν κακά·
ὅμως δ' ἀνάγκη πᾶν ἀναπτύξαι πάθος,
Πέρσαι· στρατὸς γὰρ πᾶς ὄλωλε βαρβάρων.
[Aesch. Per., 249-255]

" يا مدن الأرض الأسيوية جميعها،

ويا أيتها الأرض الفارسية وميناء الثروة الكبير،
هكذا بضربة واحدة ثروتكم العظيمة قد
دُمِرَتْ، وزهرة الفرس سقطت وذهبت.
فيا ويلى، إنه من السيئ أنى أول من يعلن الأخبار السيئة.
لكن من الضرورى بالمثل أن أجلي المصيبة كلها،
فيا أيها الفرس. إن الجيش كله قد انتهى بواسطة الأجانب."

ويستخدم أيسخيلوس عبارة "الجيش الفارسى كله قد انتهى" أكثر من مرة وعلى ألسنة فارسية مختلفة؛ فمرة على لسان الرسول فى البيت ٢٥٥، عندما قال "*στρατὸς γὰρ πᾶς ὄλωλε*"، ومرة أخرى على لسان المستشارين الفرس، بقولهم عبارة "*στρατοῦ φθαρέντος*"، وعلى لسان الملكة أتوسا "*κατέφθαρται στρατός*". وأجمل تعبير عن هزيمة الجيش الفارسي جاء به أيسخيلوس على لسان الملكة أتوسا وهى تتحدث إلى روح زوجها الراحل داريوس "*Dareios*"؛ عندما أخبرته أن هزيمة الجيش الفارسى يمكن سردها فى كلمة واحدة "ἐιπεῖν ἔπος" وهى أن أمجاد الفرس قد ولت "*διαπεπόρθηται τὰ Περσῶν πράγμαθ*" فى بيت ٧١٤.

وينوع أيسخيلوس فى استخدام كلمات تعنى الهزيمة والدمار والنكسة للجيش الفارسى، مثل الأفعال:

"*φθείρω, καταφθείρω, ὄλλυμι, δαμάζω, ἐκπλήσσω, τλάω, φυγὼ*"
والكلمات "*δύστηνος, συμφορά, πάθος, κακη*".

وعلى مدى ثلاثين بيتاً، يأخذ الرسول الفارسى فى سرد تفاصيل الهزيمة على مسامع الملكة أتوسا، ويخبرها عمن مات فى الحرب ومن لازال حياً، ثم يخبرها بأن ما سرده جزء من قليل:(١)

(١) يرد نفس المعنى تقريباً في بيت ٤٣٥ ، فبعدما يذكر الرسول على مسامع الملكة أتوسا كارثة جيش ابنها، وما لحق به من هزيمة، فأن هذا هو نصف الشرور التى لحقت بالجيش فقط:
"εὖ νυν τόδ' ἴσθι, μηδέπω μεσοῦν κακόν".

πολλῶν παρόντων ὀλιγ᾽ ἀπαγγέλλω κακά. [Aesch. Per., 330]

"أننى أقص أمور قليلة سيئة من كثيرة وقعت".

وبرغم ما جاء به أيسخيلوس فيما بعد من جُملٍ تصف مدى هزيمة الجيش الفارسى أمام الجيش اليونانى، ومدى ما فى الوصف من تراجيديا، إلا أن عرض ذلك على جمهور من المنتصرين فى المعركة أضفى شئ من الكوميديا على الحدث؛[١] خاصة عندما يقول الرسول للملكة، أن الجيش الفارسى لقى ميتة حزينة ومخزية أمام اليونانيين:

τεθνᾶσιν αἰσχρῶς δυσκλεεστάτῳ μόρῳ. [Aesch. Per., 444]

"فقد تم القضاء عليهم كلية وبصورة مؤسفة".

ومزيداً من الكوميديا ونظرة التشفى من لدن المؤلف فى وصفه لهذا الحدث التراجيدى الذى يرغب به فى تصوير هزيمة أعداء بلاده؛ فأنه يأتى على لسان الملكة وبعد علمها بما ألمَّ بجيش ابنها من هزيمة نكراء؛ فإذ بها تتوّح وكأنها تسخر من ابنها وتقول بأنه قد ذهب فى جيش جرار من أجل الانتقام لمن ماتوا منهم فى معركة ماراثون "*Marathon*" من قبل، إلا انه قد منى بهزيمة أكثر مرارة من سابقتها:

ὧν ἀντίποινα παῖς ἐμὸς πράξειν δοκῶν
τοσόνδε πλῆθος πημάτων ἐπέσπασεν.
[Aesch. Per., 476-477]

كان ابنى يعتقد أنه سوف يحقق العقاب
ولكنه جلب الكثير من الآلام لنفسه".

وورد نفس المعنى كذلك فى نهاية سرده لهزيمة الجيش علي مسامع الملكة، عندما أخبرها بأن هذه هى حقيقة ما حدث وإن كان قد أغفل عنها كوارث أخرى لحقت بالجيش الفارسى:

ταῦτ᾽ ἔστ᾽ ἀληθῆ. πολλὰ δ᾽ ἐκλείπω λέγων
κακῶν ἃ Πέρσαις ἐγκατέσκηψεν θεός. [Aesch. Per., 513 - 514]

(١) خاصة وأن سوء حظ المتظاهرين بالعظمة والكبرياء مصدراً أساسياً للتسلية، ومادة خصبة للكوميديا؛ انظر: جلين ويلسون: سيكولوجية فنون الآداب: ترجمة: شاكر عبد الحميد؛ مراجعة: محمد عنانى، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٢٥٨، الكويت (المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب)، مارس ٢٠٠٠ ؛ ص ٢٣٦.

وتنوح الملكة بعد ذلك على مصير الجيش، وتقول بأنها بائسة وحزينة جداً لنكسة جيش فارس:

οἵ ᾽γὼ τάλαινα διαπεπραγμένου στρατοῦ· [Aesch. Per., 517]

"كم أنا حزينة من أجل فناء الجيش".

ولقد شجع نواح الملكة مستشارى الملك على النواح هم أيضاً، فأخذوا فى البكاء على مصير جيشهم العرم الذى منى بمثل هذه الهزيمة وتلك النكبة، والتى سوف تؤدى إلى حرية شعوب آسيا من تبعيتها للملك الفارسى وكذلك حرية الشعب الفارسى نفسه في التعبير عن رغباته[١] وتخلصه من نير العبودية.

وكذلك الأمر عندما أخذ الكورس فى النداء على روح الملك داريوس كى تصعد إليهم وتشير عليهم فى مصيبتهم تلك؛[٢] فإنهم ينادونه لأنه الملك الذى لم يتهور من قبل فى قيادته للبلاد أو للجيش، كما فعل ابنه فتسبب فى هزيمة نكراء للجيش ولكل بلاد فارس وآسيا قاطبة، ولن تُنسى هذه الهزيمة أبد الدهر:

Βα .....
τοιάδ᾽ ἐξ ἀνδρῶν ὀνείδη πολλάκις κλύων κακῶν
τήνδ᾽ ἐβούλευσεν κέλευθον καὶ στράτευμ᾽ ἐφ᾽ Ἑλλάδα.
Δα. τοιγάρ σφιν ἔργον ἐστὶν ἐξειργασμένον
μέγιστον, ἀείμνηστον, [Aesch. Per., 757 - 760]

" الملكة: .....

لقد سمع مثل هذا اللوم كثيراً من الرجال الأشرار

---

(1) Aesch., Per., 591-594 :

οὐδ᾽ ἔτι γλῶσσα βροτοῖσιν
ἐν φυλακαῖς· λέλυται γὰρ
λαὸς ἐλεύθερα βάζειν,
ὡς ἐλύθη ζυγὸν ἀλκᾶς.

(٢) حاول أيسخيلوس بهذا المشهد إخراج وتوليد شئ تراجيدى فى المسرحية.؛ انظر: فرنان روبير: الأدب اليونانى؛ ترجمة: هنرى زغيب، بيروت، باريس، منشورات عويدات (١٩٨٣)، ص ٣٩ – ٤٠ .

ففكر فى هذه الطريقة وجهز حملة ضد بلاد اليونان.
داريوس: وبناء عليه، فإن هذا العمل كان فيه القضاء عليهم
كلية، بصورة مذكورة على الدوام".

لابد هنا من التأكيد على ما أتى به أيسخيلوس من زيف للحقائق من أجل التغنى بنشوة نصر بلاده على الفرس. فكذباً ادعى أن الملك داريوس لم يشن حرباً بحرية من قبل على بلاد اليونان في حين أن ابنه إكسيركسيس هو من قام بهذه المغامرة الطائشة والغير مسئولة فاستحق الهزيمة.(١)

وعلى لسان شبح الملك داريوس يمتدح أيسخيلوس بلاد اليونان، فيجعله يقول ساخراً من طيش ابنه بأن بلاد اليونان لا يمكن أن يهزمها أى إنسان.(٢) وعلى لسان مستشارى الملك، يأتى أيسخيلوس بقولهم لشبح داريوس بأن جيوشهم لن تعود ثانية إلى آسيا رغم كثرتها فقد انهزمت وانتهت.(٣) وعندما تغادر الملك وكذلك شبح داريوس خشبة المسرح، يتغنى مستشارى الملك بالماضى العظيم لفارس وكيف كانت ولكنها كيف أصبحت الآن بعد أن مُنيت بهذه الهزيمة على أيدي اليونانيين،(٤) وذلك على مدى خمسة وخمسون بيتاً.(٥) ومزيدا من السخرية وإضحاك وتسلية

(١) عبد الرحمن بدوى: تراجيديات أسخيلوس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٦، ص ١٢٥.؛ وعن طيش وتسرع إكسيركسيس، وعدم دراسته للأمور جيداً انظر أبيات ٧٥٣.٧٥٦ .

(2) Aesch. Per., 745-746:

ὅστις Ἑλλήσποντον ἱρὸν δοῦλον ὡς δεσμώμασιν
ἤλπισε σχήσειν.

(3) Aesch. Per., 798-799 .

إن الهزيمة العسكرية تعنى فقد المكانة والسلطان للمهزوم، حتى وأن كان هذا قدره ونصيبه؛ فأنه قدر ونصيب لا يمكن تحمله. Cf., Eur. Tro., 302-303.

(4) Aesch. Per., 852-906.

(٥) إن تحقيق أثينا النصر على الفرس هو انتصار لكل المدن اليونانية الأخرى، فالجنود اليونانيون حققوا نصراً مدوياً على أمه كانت ثرية بحق وقوية جداً وبحق. ولقد أراد أيسخيلوس بتصويره لانتصار اليونانيين القول بأن المدنية والديمقراطية قد تفوقت على الدكتاتورية، وأن ثروات بلاد اليونان وإن كانت قليلة وفقيرة فقد تغلبت على ثروة الشرق العظيمة. واستطاع أيسخيلوس كذلك أن يفخر ويزهو زهوة المنتصر ببنى وطنه البواسل الذين هزموا إمبراطورية الفرس العظيمة.

الجمهور اليونانى، يجعل أيسخيلوس الكورس الفارسى يُنهى أغنيته بأن هزيمتهم فى المعركة هزيمة عظيمة: "*πολέμοιο δμαθέντες μεγάλως*".

وفى الحوار الدرامى الذى أتى به أيسخيلوس بين الملك المهزوم إكسيركسيس ومستشاريه تتجلى أجمل صور وكلمات التعبير عن الهزيمة العسكرية، خاصة وأنها أتت على لسان ملك مهزوم مدحور. فجميع أجزاء هذا الحوار تتغنى بعظمة وتفوق بلاد اليونان. وإن كان به تراجيديا وبكاء ونحيب إلا أنه من المؤكد كان يعجب الجمهور الأثينى وهو يرى الملك الفارسى يبكي وينوح على هزيمته ونكسته أمام الجيش اليونانى العظيم.[١] فلقد أتى أيسخيلوس وبنجاح عظيم بالكوميديا من قلب المشاهد الدرامية التراجيدية.

علينا هنا التأكيد على ما كان يرغبه أيسخيلوس من كتابته لمسرحية الفرس، حيث رغبته في إرضاء الجمهور اليونانى وإسعاده ، بتمجيده لنصرتهم على عدوهم الفرس فى موقعة سلاميس؛ إلا أن هذه الرغبة قد أفرغت تلك المسرحية من كونها التراجيدى.[٢]

وكذلك كانت نهايتها؛ فرغم إصرار أيسخيلوس على ملئها بالبكاء والنحيب على هزيمة الجيش الفارسى، إلا أنها تعني في الجهة المقابلة انتصار الجيش اليونانى، والذى هو نفسه جمهور المسرحية ؛ أي أنها مسرحية ذات نهايتين "*διπλῆ*".[١]

انظر: جلبرت موری: يوريبيديس وعصره؛ ترجمة: عبد المعطى شعروای؛ مراجعة: محمد صقر خفاجة، دار الفكر العربى، القاهرة د.ت. ، ص ٢٤.

(١) جلين ويلسون: المرجع السابق. ص ٢٣٦.

(٢) يقول أرسطو:

..... δοκεῖ δὲ εἶναι πρώτη διὰ τὴν τῶν θεάτρων ἀσθένειαν. ἀκολουθοῦσι γὰρ οἱ ποιηταὶ κατ' εὐχὴν ποιοῦντες τοῖς θεαταῖς. ἔστιν δὲ οὐχ αὕτη ἀπὸ τραγῳδίας ἡδονὴ ἀλλὰ μᾶλλον τῆς κωμῳδίας οἰκεία·

[Arist. Poet.,1453a, 33- 36]

"إذا كان هذا النوع من الحبكات مفضلاً، فإنما يرجع إلى ضعف تقدير المشاهدين، لأن الشاعر التراجيدى حينئذ يسترشد فيما يكتبه بما تمليه رغبات متفرجيه. غير أن الإمتاع الذى يتولد من ذلك النوع من الحبكات ليس هو الإمتاع الحقيقى إنما هو يناسب الكوميديا كجنس درامى.، أرسطو: المرجع السابق. ص ١٣٤ .

ونجد أيضاً بطل المسرحية لن يثير فى نفوس المتفرجين الشفقة أو الخوف ؛ لأنه فى الأساس عدو لليونانيين، الجمهور المشاهد لهزيمته، ومن ثم فأى خطر يحدق به سوف يكون مثار بهجة وفرح للجانب اليونانى، وهذه الطريقة فى المعالجة الدرامية تكون مناسبة للكوميديا أكثر منها للتراجيديا.(٢) خاصة وأن الكوميديا تعالج موضوعات متباينة ومن بينها موضوع الإذلال الذى يلحق بالأشرار ضيقى الأفق، وأنها تستخف بالإنسان، وذلك عن طريق عرض أنانيته وغبائه وأيضاً ضعفه "ἀνανδρία"، تماماً مثل إكسيركسيس.(٣)

ومن الأهمية بمكان ذكر أن شخصية الملك الفارسى إكسيركسيس ليست بنمط من أنماط الشخصيات التراجيدية التي ذكرها أرسطو،(٤) ويمكن القول بأن أيسخيلوس قد أتى بها من أجل إدخال الفرح والسرور على قلوب جمهوره.

ونلاحظ في المسرحية تغني أيسخيليوس باليونان وجيشها وأسطولها وقادتها وحسن تصريفهم للأمور، على عكس بلاد الفرس وتصرفات ملكهم الغير مسئولة أو محسوبة.

ويجب التنويه إلى ضرورة تركيب المسرحية التراجيدية من التعقيد والحل ، خاصة وأن الجزء الأول منها هو ما يجرى في أغلب أحداث المسرحية ثم يأتي بعد ذلك حل لذلك التعقيد الذى أوجده

---

(١) أرسطو: نفس المرجع. ص ص ٣٤.٣٥.

(٢) أرسطو: نفس المرجع. ص ص ٣٤ ، ٣٥ ، ١٣٤. وهامش ١٠ ، ١١ ص ١٠٢.؛ وانظر: جلين ويلسون: المرجع السابق. ص ٢٣٦.

(٣) يصف أيسخيلوس الملك إكسيركسيس في أكثر من مكان بصفات التهور والتسرع "أبيات ٥٥٠-٥٥٣" على لسان الكورس ، وفى بيت ٧٤٤ على لسان داريوس يذكر بأنه شاب متهور أخرق جاهل بالأمور، وفى بيت ٧٥٥ وعلى لسان أمه فأنها تصفه بعدم الشجاعة أو الرجولة.
انظر: جلين ويلسون: المرجع السابق ؛ ص ٢٣٤.

(٤) فأنماط الشخصية التراجيدية هى: ١) الشخص الفاضل، ٢) الشخص السيئ، ٣) الشخص الغاية فى السوء، ٤) الشخص الواقف بين طرفي الفضيلة والسوء.؛ انظر أرسطو: المرجع السابق. ص ١٣٧.

المؤلف؛ وعلى هذا فأن مسرحية الفرس بعيدة تماماً عن المسرحيات التراجيدية فى هذه الجزئية، إذ أنها لا تحتوى على عقدة أو حل.(١)

وكذلك لا ننسى ما قدمه أيسخيلوس من مشاهد كوميدية داخل المشاهد التراجيدية التى تصور هزيمة الفرس وبكائهم ونحيبهم على نكسة جيشهم العرم الذى لا يمكن أن يهزمه أحد. فمثل هذه المشاهد كانت تدخل البهجة على نفوس المشاهدين اليونانيين رغم تراجيديتها.

ورغم كل ذلك فمن الممكن أن نتفهم موقف أيسخيلوس، بأنه قد أراد تخليد نصر يونانى شارك فيه هو نفسه، عندما كان بين صفوف الجيش اليوناني الذى تصدى للغزو الفارسى على بلاده. ولأنه كاتب تراجيدى ويبغى تسجيل حدث تاريخى، وإسعاد وإبهاج قومه بما حققوه من نصر على أعدائهم، فقد جاءت تراجيديته تتخللها بعض الصور والمشاهد الترفيهية الكوميدية. وقد ترجع تلك التركيبة فى مسرحية الفرس إلى ما حدث مع سابقه فرونيخوس "*Phrynichus*" عندما عرض مسرحية تراجيدية تاريخية ، رفضها الجمهور اليونانى لأنها تتحدث عن هزيمة الفرس لليونانيين؛(٢) فكان هذا الحدث فى مخزون أيسخيلوس الفكرى وهو يتصدى لحدث تاريخى من خلال مسرحية تراجيدية. فقام وابتكر صورة وطريقة جديدة للمعالجة التراجيدية؛ وهى كيف تكون التسرية والكوميديا من خلال التراجيديا. خاصة وأن الحكومة اليونانية هى التى كانت تمول هذه المسرحيات مادياً؛ ومن ثم فقد كان ولابد أن تتفق هذه المسرحيات وسياسات الحكومة اليونانية الأثينية.(٣)

وكذلك أراد أيسخيلوس أن يقدم صورة مشرقة ساطعة لشعبه اليونانى والدعاية له سياسياً بأن النصر دائما للحرية والديمقراطية؛ على عكس ما كانت عليه بلاد الفرس من ديكتايورية وعبودية.

وأخيراً يمكن القول بأن مسرحية الفرس لأيسخيلوس كانت إرهاصات أولى للأنواع المسرحية التى ظهرت فيما بعد فى العصور الحديثة باسم التراجكوميدى "*Tragi*-comedy"؛ وهى الملهاة

---

(١) أرسطو: المرجع السابق: ص ١٦٩ .

(2) R.C. Jebb, op. cit., p. 72.

(3) Paul Cartledge, "Deep Plays: Theatre as Process in Greek Civic Life", Cambridge Companion to Greek Tragedy, edited by P. E. Easterling; Cambridge University Press, UK., (1997), p. 18.

المفجعة. ويمكن القول بأنها مسرحية تراجيدية بعيداً عن تعريفات أرسطو، وبعيداً عن عرضها أمام الجمهور اليونانى، ولكنها فى نفس الوقت مسرحية تراجكوميدية أو مجرد أنشودة واحتفال بالنصر فى صورة عرض مسرحى أمام الجمهور اليونانى.

مراجع البحث

أولاً: المراجع الأجنبية

- Paul Cartledge,"Deep Plays: Theatre as Process in Greek Civic Life", Cambridge Companion to Greek Tragedy, edited by P. E. Easterling; Cambridge University Press, UK., (1997).
- P. E. Easterling, "Form and Performance", The Cambridge Companion to Greek Tragedy, edited by P. E. Easterling, Cambridge University Press, UK., (1997).
- Edith Hall, "The Sociology of Athenian Tragedy", The Cambridge Companion to Greek Tragedy, edited by, P. E. Easterling, Cambridge University Press, UK., (1997).
- R.C. Jebb, Greek Literature, digitized for Microsoft Corporation, by the internet Archive in 2007. From University of Toronto.
- H. D. F. Kitto, The Greeks, Penguin Books Press; Great Britain, 1st ed., 1951, The Last (1962).

ثانياً: المراجع العربية

ـ أحمد عتمان: الشعر الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً، سلسلة عالم المعرفة؛ عدد ٧٧، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مايو ١٩٨٤.

. أرسطو، كتاب فن الشعر؛ ترجمة وتقديم وتعليق، إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٣.

ـ جلبرت موري، يوريبيديس وعصره؛ ترجمة: عبد المعطى شعراوى؛ مراجعة: محمد صقر خفاجة، دار الفكر العربى، القاهرة (د. ت).

ـ جلين ويلسون، سيكولوجية فنون الأداب: ترجمة: شاكر عبد حميد؛ مراجعة: محمد عنانى، سلسلة عالم المعرفة؛ عدد ٢٥٨، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ،مارس ٢٠٠٠.

ـ عبد الرحمن بدوى، ترجيديات أسخولوس (٢)؛ ترجمها عن اليونانية وقدم لها وعلق عليها، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٦.

. عصام الدين أبو العلا، نظرية أرسطوطاليس فى الكوميديا، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٣.

. فرنان روبير، الأدب اليونانى؛ ترجمة: هنرى زغيب، منشورات عويدات، بيروت . باريس ١٩٨٣.

صلاح السيد عبد الحي
قسم الدراسات اليونانية واللاتينية
كلية الآداب . جامعة سوهاج